| | |
|---|---|
| عنوان الخطبة | مشاهد من عرصات القيامة |
| عناصر الخطبة | ١/من أهوال يوم القيامة وحاجة العبد للثبات<br>٢/مواقف يكون العبد فيها أشد حاجة للثبات والتثبيت ٣/مشاهد العرض على الله تعالى وانقسام الخلق |
| الشيخ | عبدالله الطريف |
| عدد الصفحات | ١١ |

الخطبة الأولى:

أيها الإخوة: يقول الله -تعالى-: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ* يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)[الحج:١،٢]؛ قال الشيخ السعدي: (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)؛ أي لا يقدر قدره، ولا يبلغ كنهه أحد، ذلك بأنها إذا وقعت الساعة،

رجفت الأرض وارتجت، وزلزلت زلزالها، وتصدعت الجبال، واندكت، وكانت كثيبا مهيلا ثم كانت هباء منبثا، ثم انقسم الناس ثلاثة أزواج.

فهناك تنفطر السماء، وتكور الشمس والقمر، وتنتثر النجوم، ويكون من القلاقل والبلابل ما تنصدع له القلوب، وتوجل منه الأفئدة، وتشيب منه الولدان، وتذوب له الصم الصلاب، ولهذا قال: (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ) مع أنها مجبولة على شدة محبتها لولدها، خصوصا في هذه الحال، التي لا يعيش إلا بها.. (وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا) من شدة الفزع والهول، (وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى)؛ أي: تحسبهم أيها الرائي لهم سكارى من الخمر، وليسوا سكارى. أ-هـ

أيها الإخوة: في يوم هذه أهواله نحن بأمس الحاجة لتثبيت الله فيه؛ فهو القائل: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ)[إبراهيم:٢٧]، وتثبيت الله في الآخرة قيل: أي يوم القيامة عند العرض، وفي مواقفها فلا يتلعثمون إذا

سئلوا عن معتقدهم هناك، ولا تدهشهم الأهوال؛ فالمراد من الآخرة يوم القيامة.

أيها الإخوة: وأشد ما يكون احتياج العبد للثبات بالقول الثابت في هذا اليوم العظيم أمره، الشديد هوله، الذي لا يلاقي العباد مثله، عندما يبعث الله العباد يوم القيامة، بغير صفاتهم في الحياة الدنيا، ومما يختلفون فيه مثلاً أن أهل النار لا يموتون مهما أصابهم من البلاء؛ قال الله -تعالى-: (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ)[إبراهيم:١٧].

وفي الحديث الذي يرويه عَمْرِو بْنُ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيّ، قَالَ: قَامَ فِينَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-؛ فَقَالَ: "يَا بَنِي أَوْدٍ إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، تَعْلَمُونَ الْمَعَادَ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ، وَإِقَامَةٌ لَا ظَعْنَ فِيهِ، وَخُلُودٌ لَا مَوْتٌ فِي أَجْسَادٍ لَا تَمُوتُ"(رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين بإسناد صحيح قال الذهبي هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وراه الطبراني في الكبير والأوسط بنحوه وصححه الألباني).

ومن ذلك إبصار العباد ما لم يكونوا يبصرونه، فيبصرون في ذلك اليوم الملائكة والجن، وما الله به عليم، ومن ذلك أن أهل الجنة لا يبصقون ولا يتغوطون ولا يتبولون.. وهذا لا يعني أن الذين يبعثون في يوم الدين خلق آخر غير الخلق الذين كانوا في الدنيا..

ومن أهوال ما يرون أن الله -تعالى- يحشر العباد في يوم القيامة على أرض أخرى غير هذه الأرض؛ قال تعالى: (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)[إبراهيم:٤٨].

وقد ورد في الحديث أن النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ"؛ قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: "لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ"(رواه البخاري ومسلم) عن سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أي أرضٌ بيضاء مشوبة بحمرة. كرغيف مصنوع من دقيق خالص من الغش والنخالة، وليس فيها شيء مستوية لا حدب فيها ولا بناء..

ومن أهوال ذلك اليوم أن القلوب والأبصار تتقلب قال الله -تعالى-: (يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ)[النور:٣٧]، وقال: (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ* أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ)[النازعات:٨-٩]، ولذلك يشيب الوليد لهول ما يرى؛ قال الله -تعالى-: (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا * السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا)[المزمل:١٧-١٨].

وفي يوم القيامة تنقطع علائق الأنساب؛ (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ)[المؤمنون:١٠١]؛ فكل إنسان في ذلك اليوم مهتم بنفسه، لا يلتفت إلى غيره، ويفر من أحب الناس إليه قال تعالى: (فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ* يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ* لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ)[عبس:٣٣-٣٧]. بل إن المجرم مستعد أن يفدي نفسه بأقرب الناس إليه وأحبهم إليه في الدنيا قال الله -تعالى-: (... يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ* وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ* وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ)[المعارج:١١ - ١٤]، ومن هول ذلك اليوم وشدته: طوله، قال تعالى: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ

وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ* فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا* إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا* وَنَرَاهُ قَرِيبًا)[المعارج:٤-٧].

أيها الإخوة: من أعظم المواقف التي يحتاج فيها العبد للتثبيت موقف العرض على الله ملك لملوك وجبار السماوات والأرض؛ يقول الله -تعالى- واصفاً ذلك اليوم: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ)[البقرة:٢١٠]؛ قال الشيخ السعدي: في هذه الآية من الوعيد الشديد والتهديد ما تنخلع له القلوب، يقول تعالى: هل ينتظر الساعون في الفساد في الأرض، المتبعون لخطوات الشيطان، النابذون لأمر الله إلا يوم الجزاء بالأعمال، الذي قد حشي من الأهوال والشدائد والفظائع، ما يقلقل قلوب الظالمين، وَيَحِقُّ به الجزاءُ السيئُ على المفسدين.

وذلك أن الله -تعالى- يطوي السماوات والأرض، وتنثر الكواكب، وتكور الشمس والقمر، وتنزل الملائكة الكرام، فتحيط بالخلائق، وينزل الباري -تبارك تعالى-: (فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ) ليفصل بين عباده بالقضاء العدل.

فتوضع الموازين، وتنشر الدواوين، وتبيض وجوه أهل السعادة وتسود وجوه أهل الشقاوة، ويتميز أهل الخير من أهل الشر، وكل يجازى بعمله، فهنالك يعض الظالم على يديه إذا علم حقيقة ما هو عليه، وهذا المجيء ثابت لله على وجه يليق بجلال الله وعظمته، من غير تشبيه ولا تحريف"، ويقول سبحانه: (كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا* وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا* وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى)[الْفَجْرِ:٢١ – ٢٣]، وقال الله –تعالى–: (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)[الزمر:٦٩].

فياله من مشهد عظيم تجلله المهابة فهذا الإشراق المنصوص عليه في الآية، إنما يكون عند مجيئه –سبحانه– لفصل القضاء؛ فهو القاضي والمحاسب في ذلك اليوم وهو الحكم العدل.. ومن جلال الموقف مجيء ملائكة الرحمن وإحضارهم كتبَ الأعمال التي أحصت على الخلق أعمالهم وتصرفاتهم وأقوالهم؛ ليكون حجة على العباد، وهو كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها؛ (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا

وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)[الكهف:٤٩].

ويجاء في موقف القضاء والحساب كذلك بالرسل، ويسألون عن الأمانة التي حمَّلهم الله إياها، وهي إبلاغ وحي الله إلى من أرسلوا إليه، ويشهدون على أقوامهم ما علموه منهم.

ويقوم الأشهاد في ذلك اليوم العظيم فيشهدون على الخلائق بما كان منهم، والأشهاد هم الملائكة الحفظة والأنبياء، وتشهد على العباد الأرض والسماء والليالي والأيام.

أسأل الله -تعالى- بمنه وكرمه أن يثبتنا ويؤمننا يوم الفزع الأكبر، ويهون علينا الحساب وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة: ومشهد العرض على الله عظيم، ذلك أنه يؤتى بالعباد الذين عقد الحق -تبارك وتعالى- محكمته العظيمة لمحاسبتهم، ويقامون صفوفاً للعرض على رب العباد؛ (وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا)[الكهف:٤٨]، ولشدة الهول تجثوا الأمم على الركب عندما يدعى الناس للحساب لعظم ما يشاهدون، وما هم فيه واقعون؛ (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[الجاثية:٢٨].

فعَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ المازِنِيّ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-مَا آخِذٌ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ؛ فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ (الْمُنَاجَاة الَّتِي تَقَع مِنْ الرَّبّ سُبْحَانه وَتَعَالَى يَوْم الْقِيَامَة مَعَ الْمُؤْمِنِينَ)؛ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ (والنَّجْوَى: الكلام الذي يُسْمِع الْمَرْء غَيْره سِرًّا دُون مَنْ يَلِيه، وَهْيَ هُنَا سِتْر الله كلامه مع المؤمن عَنْ أَهْل الْمَوْقِف حَتَّى لَا يَطَّلِع عَلَى سِرّه غَيْره)؛

فَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟، فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟، فَيَقُولُ: نَعَمْ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ: (هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)[هود:١٨](رواه البخاري ومسلم).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا"(رواه البخاري).

أيها الإخوة: تَدَلُّ مَجْمُوعُ الْأَحَادِيثِ عَلَى أَنَّ الْعُصَاةَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْقِيَامَةِ عَلَى قِسْمَيْنِ: أَحَدهمَا: مَنْ مَعْصِيَتُه بَيْنَه وَبَيْنَ رَبّه، وهؤلاء عَلَى قِسْمَيْنِ: قِسْم تَكُون مَعْصِيَتُه مَسْتُورَةً فِي الدُّنْيَا، فَهَذَا الَّذِي يَسْتُرهَا الله عَلَيْهِ

فِي الْقِيَامَة. وَهُوَ بِالْمَنْطُوقِ، وَقِسْم تَكُون مَعْصِيَتُه مُجَاهَرَةً، فَدَلَّ مَفْهُومه عَلَى أَنَّهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ.

وَالْقِسْم الثَّانِي: مَنْ تَكُون مَعْصِيَتُه بَيْنَه وَبَيْنَ الْعِبَاد، فَهُمْ عَلَى قِسْمَيْنِ أَيْضًا: قِسْم تَرْجَح سَيِّئَاتهمْ عَلَى حَسَنَاتهمْ، فَهَؤُلَاءِ يَقَعُونَ فِي النَّار، ثُمَّ يُخْرَجُونَ بِالشَّفَاعَةِ.

وَقِسْم تَتَسَاوَى سَيِّئَاتهمْ وَحَسَنَاتهمْ، فَهَؤُلَاءِ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّة حَتَّى يَقَع بَيْنَهمْ التَّقَاصّ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيث أَبِي سَعِيد. نسأل الله أن ينجينا فيه بفضله وَمَنِّهِ وكرمه.

ص.ب 156528 الرياض 11788
+966 555 33 222 4
info@khutabaa.com
khutabaa.com